

دلائل الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم .

فصل في اللفظ والاستعارة وشواهد تحليلية للمعنى .

اعلم أنه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يـَسري في العروق ويـُفسد مزاج البدن وجـَب أن يتوخى دائباً فيهم ما يتوخى الطبيب في الداء فإنه من تـَعَهَّد به بما يزيد في مـُذـَّتـِه ويـُبقـيه على صحـته ويؤمـِّدُه الذـُّكـس في عـِلـته . وقد علمنا أن أصل الفساد وسـَـبـ الآفة هو ذهابهم عن أنـ من شأن المعاني أن تختلف عليها المـُور وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون فإنك ترى الشاعر قد عمـد إلى معنـى مبتذل فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شـذـفٍ وغيرهما من أصناف الحـلي . فإنـ جهلهم بذلك من حالها هو الذي أغواهم واستـهـواهم وورـطهم فيما تورـطوا فيه من الجـهالات وأدـاهم إلى التعلـق بالمـُحالات وذلك أنـهم لما جـهلوا شأن الصورة وضعوا لأنفسـهم أساساً وبنوا على قاعدة فقالوا : إنه ليس إـلا المعنى واللفظ ولا ثالث . وإنه إذا كان كذلك وجـب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للأخر ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة وأن يكون لها مرجع إلى المعنى من حيث إن ذلك زعموا يؤدبي إلى التناقض وأن يكون معناهما متغايراً وغير متغاير معاً . ولما أقرروا هذا في نفوسهم حـملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره وأبـوا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكـن غير قلق ولا نابٍ به موضعه . إلى سائر ما ذكرناه قـبـل فيعلموا أنـهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة وهم يعـذون نطق اللسان وأجـراس الحروف . ولكن جعلوا كالمـُواضعة فيما بيـدـهم أن يقولوا اللفظ وهم يـريدون الصورة